

٢ - كوليرج

للطبيب النافر. اى. نى. كيلر كوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

هذا العام واضحين نصب أعينهم منطقة بديعة من مناطق أمريكا ، وكان المظنون أن عمل كل من هؤلاء الأشخاص لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يوميا كان للقيام بأود (المتعمرة) . أما المنتج فهو ملك مشاع ، وكان المقرر أن تكون هنالك مكتبة عامرة ، وأوقات فراغ ملائمة ، لتخصيصها للدراسة والمناقشة وتربية الأطفال وفق خطة دقيقة معينة . كما أن واجب النساء كان يقتضى منهن التفرغ للاعتناء بالأطفال الرضع ، والقيام بأشغال لائقة أخرى . على أن ذلك يجب ألا ينسحب تثقيف أذهانهن وإنماء مواهبهن المتنوعة بالتعب والدراسة وبالتفهم والممارسة في كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة ^(١) . أما الأمور الأخرى التي لم تقرر في حينها فكان أهمها رباط الزوجية وهل في الإمكان قصمه برغبة أحد الطرفين أو برغبة كليهما وكان من حق كل شخص أن يتمتع بكل حقوقه الدينية والسياسية إذا لم يكن في ذلك اجتزاء على الحقوق والتوازن المتفق عليها سابقا) وقد حسبوا أن أى شخص يذفع (١٢٥) جنيها وله ملهم من الآراء الحق في تنفيذ هذا

(٢) من كلام المترجم

وفي حزيران (يونيو) من سنة ١٧٩٤ زار كوليرج صديقه أرلن في أكسفورد وتعرف هنالك بالشاعر (روبرت ساوذي) . وقد كان روبرت هذا شابا ناريا متحمسا فيه ميل شديد وزعة قوية لاحتضان المبادئ العنيفة ومن هذه المبادئ نشأت فكرة (الباتليسو كراسية ^(١)) بتأييد من أصدقاء ساوذي ومساعدة من كوليرج . ويلخص كامبل هذه الفكرة فيما يلي : « اتفق اثنا عشر رجلا من المثقفين ثقافة جيدة ومن لهم أفكار حرة مع من يمثلهم من السيدات على الأبحار في نيسان من (١) تعني الكلمة الساواة وهي مذهب يدعو إلى المساواة في الحقوق والواجبات والمساوية في الملكية ، المترجم

وتباين في عقول أبناء الأمة الواحدة وقابلياتهم ومعارفهم وتفاوت في ملكاتهم وتربيتهم وثقافتهم فلا بد أن تبقى فيهم لمجة عامة عائشة بجانب اللغة الفصحى على أن اللغة الفصحى مع الأسف مهما انتشرت وقام لها سوق فيما بيننا سوف تبقى طائلة من حليتها ، مجردة من حركات إعرابها كما هي حالة لغة أهل (عكا) في الين على ما حكاه الشيخ عبد الرحمن الكواكبي للشيخ أحمد الإسكندري . والله الأمر من قبل ومن بعد

عبد القادر المغربي

إلى لغة القرآن حينما نجتمع بإخواننا المسلمين الأعاجم الذين أسابوا ولوقليلا من الثقافة القرآنية أو الثقافة العربية : فإنه لا ينفس الكرب عنا وعنهم ويجعلنا ننعم بالحديث معهم إلا لغة القرآن . ويظهر أن وسائل النشر والإذاعة والآلات والمواصلات وفرة دواعي الاجتماع والتلاق بيننا وبينهم في البعثات والمؤتمرات

كل ذلك يعمد الطريق أمام استعمال اللغة الفصحى بيننا فتقوى فيها ملكة التكلم بها من حيث تضعف في نفوسنا إلى حد محدود سلبية البذلة العامة وإنما قلت إلى حد محدود : لأنه مادام هناك اختلاف

(المراقب) ارتحلت هذه العائلة مع وليدها إلى (نيدر ستاوى) فى (سومرث) لتكون بجوار توماس بول ، الصديق الوفى والخل المحلص . وإلى هنا قدم وردزورث مع أخته الجيلة فى تموز عام ١٧٩٧ ، وقد لحق بهما بمدن تشارلى لامب وصل الجميع فى ضيافة كوليرج « وقد خللت هذه الزيارة فى قصيدة (تحت ظلال شجرة الليمون) وبعد ذلك رجع تشارلى إلى لندن بعد مكوثه معهم لمدة قصيرة جداً ، بينما أقام وردزورث وأخته فى (الفوكسدن) على مقربة ثلاثة أميال من دار كوليرج ، وذلك بسبب الرابطة السحرية التى ربطتهما بعنف وقوة بكل ماله علاقة بكوليرج . وأخيراً حدثت المعجزة . قد يكون من الحق أن نقول إن كوليرج لم يبلغ مبلغ الإعجاز فجأة ، لأنه سبق له أن طبع مجلداً من الشعر طبعه ثانية بعد أن نفدت الطبعة الأولى ؛ ولكن هذا المجلد لم ينبئ بما سيقع . أما وردزورث فكان يستوحى آلهة الشعر — إن جاز لنا أن نطلق كلمة (الوحى) على ناظم قصيدة (المجاورين) — ولكن المعجب سيأخذ منا مأخذاً شديداً ، لأننا سنجد هذا الناظم بالذات ينظم بعد حول فقط قصيدته العصماء (كنيسة نيترن) فما كان غير محتمل وقع ، وما كان أملاً تحقق . وقد غدا الأخ والأخت والصديق روحاً واحداً ، كما شهد بذلك كوليرج نفسه . وفى وسط روح المحبة والأخوة ونحت تأثير دوروثى بصورة خاصة ، التى كانت وحدها صامته هادئة ، وقائمة بالتشجيع والنقد والإعجاب والإرشاد ، أقول : فى وسط هذا الجو السحرى الرائع وجد كوليرج ووردزورث نفسيهما شاعرين مفردين بنفحات جديدة فى فجر جديد . وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر من اليوم الثالث عشر من تشرين الثانى شرع الأسداء الثلاثة يسرون مشياً إلى (وجيت) فى طريقهم إلى الريف فى (اكسومر) وذلك لأداء ما بذمتهم من نفقات بواسطة بيع قصيدة ، عزم الاثنان على نظمها فى

المشروع) . وبينما كانت (الباتيسوكراسية) فى دور الخاض المولم ، طافت فكرة طارئة فى ذهن كوليرج فتركها هكذا وسار مشياً على قدميه فى مقاطعة ويلز

وفى اليوم الثالث عشر من (يوليو) وصل إلى (ديكسهايم) وهناك عثر على ماري إيفانز بينما كان يتمشى بالقرب من نافذة أحد الفنادق فلمحها وهى تهبط السلم إلى الشارع مع إحدى أخواتها . وقد علم على هذه المقابلة غير المتوقعة بقوله : (هجم على المرض فجأة وكاد الإغماء أن يوقع بى شر هزيمة ، ولكننى تمالكته ودعوتى وتمكنت من التراجع بسرعة) . ويظهر أن الأختين شاهدته (لأنهما سارنا أربع أو خمس مرات بجانب النافذة المطلة على الشارع كأن الفلق كان يحز فى قلبيهما) . ولكن اللقاء لم يتحقق ، وهو لو تحقق لأدى إلى الصالحة على أكبر احتمال

فر كوليرج إلى (برستول) ولحق بصديقه ساوذى هناك مع عدد من الباتيسوكراسيين ومنهم كانت عائلة تدعى عائلة (فركر) . وقد تزوج ساوذى (أدبت فركر) بينما تزوج كوليرج (ساره فركر) كما يقع ذلك بصورة فجائية بنتيجة السدمات التى تصيب الماطفة الهائجة (نتجملها ترمى فى أحضان أية امرأة يضعها القدر فى طريقها^(٢)) . يقول كامبل (إن الزواج لم يعقد فى السماء وإنما قرر على الأرض وعلى يد ساوذى . إن السماء وحدها وليس أحياء كوليرج ، هى التى تعرف ما كان يحدث لو أنه اقترن بدوروثى ووردزورث) ليس من حقنا أن نرجم بالذنب فى مثل هذه الأشياء ، وإن نحن حاولنا ذلك فلن نصيب إلا أنفسنا . أما إن التقاء بها كان مؤخراً فهذا حق لا يمارى فيه أحد ، وكذلك كانت الحال مع ولیم وردزورث أخيها . وبعد أن مكثت عائلة كوليرج أمداً قصيراً فى (كليفندن) وبرستول تخللتها سفرة قام بها كوليرج وزوجه لجمع الاشتراكات لمشروع جريدة باسم

بتمكن من الإتيان بما أتى به كوليرج في هذه القصيدة اللهم إلا بعض التنف المتناثرة هنا وهناك ... إن في هذه القصيدة لحن الملائكة وصوتهم العذب المرتل ، وكأنهم في إنشادهم هذا جوقة سماوية تغنى ما يحلوها من الأناشيد الدينية أمام بوابة الفردوس في غيش الفجر

وعلى الرغم من أن النقاد يعترفون بسحر هذه القصيدة وقوة تأثيرها وجمالها الفني ، إلا أنهم مع ذلك يفسهون هذا الاعتراف ، وذلك لأنهم يصرون على التساؤل عن السبب الذي منع كوليرج من عدم اتباعها بصائد مماثلة أو أن يكتب شيئاً يضارعها .

وأخيراً لوى كوليرج رقة إرادته النحيلة بتأثير الأفيون واشتد كابوس المادة عاياه ، فأصبح — كما قال هازلت — رجلاً يقدر على كل شيء إلا ما يمثل واجباً من الوجبات وقد تمكن مرة أو مرتين في (كرسنابل) و (قبلاي خان) أن يكتشف أجواء مقدسة ، ولكن إرادته لم تقو على الاستمرار في التحليق في مثل هذه الأجواء ، فأنتهت قصته كشاعر في محاولات متكررة غير مجدية لإتمام (كرسنابل) . وكل هذا حق صراح ، أو على الأقل يمكن أن يكون مقنعاً لأي شخص يحاول أن يستعرض مسألة شذوذ كوليرج

البقية في العدد القادم يوسف عبد المسيح شروث

استجابة لرغبة الطلاب والطالبات

جعلنا ثمن المدد من

الرواية

ثلاثة قروش بدلاً من خمسة

الطريق ! . وقبل انقضاء غانية أميال من سفرتهم هذه ، فشلت خطة النظم المشترك ، وأخذ كوليرج على عاتقه نظم القصيدة بمفرده ، واستمر العمل في ذلك حتى شهر آذار التالي . تقول دوروثى معلقة على ذلك : (إنه في الثالث والعشرين من ذلك الشهر تناول كوليرج طعامه معنا ، وكان في جمبته قصيدته (النوتى القديم) كاملة تامة

وكان الليل بديماً والقمر بازغاً ، وكنا نشمر كأن النجوم والكواكب متحلية بزینتها احتفالاً منها بمولد (الكوكب الجديد) . ومن الحق أن نقول إن قصيدة (النوتى القديم) تضطرننا إلى التأمل والتفكير في أحقية ما كان يدعو إليه رجال العصور الوسيطة من أن هناك انسجاماً بين الشعر والتسحر ، وأن (فرجيل) كان ساحراً . وكما قلنا قبل الآن يمكننا أن نفهم بمجهود يسير أن أغاني باول — على ما هي عليه من شحوب ووهن وذبول — كانت تعنى في فجر عام ١٧٩٠ غير ما تعنيه الآن . ولكن يمكن أن نتجاهل ظروف ولادتها ووقت بزوغها وما يتعلق بها من نظريات ، كما يمكن أن نتجاهل وردزورث ومقدماته وما كان بينه وبين كوليرج من مشادات ومنازعات . إلا أننا مع كل ذلك وحتى بعد مرور مائة سنة ، مجبرون على الاعتراف بأن قصيدة (النوتى القديم) هي تجربة الفن الكبرى ، والكوكب الذي اصطاده كوليرج وجلبه بيديه إلى (الفوكسكن) وأراه لدوروثى ووليم وردزورث . لأنه ليس في مجال الشعر الإنجليزى بأجمه — وحتى لدى شكسبير — ما يجارى في عبقرية لغتنا الفنايصة تلك التفات الملوية التي أنشدها كوليرج في هذه القصيدة . . فوسيقاها جذابة سهلة ، جميلة في تصويرها وخيالها وإيقاعها ، وكنائنها تجري مجرى السلسيل العذب في رقها وخفتها ولطافتها . وقد نظم القصيدة ببعض الكلمات الضخمة الثقيلة إلا أنها تقوم بدورها وتغنى يسر وجمال وبراعة؛ فشكسبير — على علوكبه وسمو منزلته — لم